

## • الفصل الرابع

### الأصدقاء في الصحافة الإسرائيلية

رامى راغب الفرا

كانوا يظنون أن النبي المرسل بعد عيسى سيكون منهم، وحين جاء محمد (عليه الصلاة والسلام) برسالته، وهو من نسل إسماعيل، لا إسحاق، أنكروه وكفروا به. بل حاولوا، غير مرة، أن يغتالوا النبي، على أن الله خيب مسعاهم. وكانت أولى مرات الاغتيال الشاة المسمومة، والثانية بإلقاء الحجر عليه وهو جالس مرتكن إلى الحائط، ولكن الله أوحى إليه كاشفاً ما يخططونه، فتوقى القتل في كل مرة.

منذ تكوّن الكيان الصهيوني عام ١٩٤٨م، والاغتيال لم يبارح سياسته، فقد شكل عصابات كـ (الهاجاناه) و (الشتيرن) و (الأرغون) للقيام بعمليات منظمة لاغتيال فلسطينيين، داخل الأراضي الفلسطينية قبل عام ١٩٤٨، أصلاً<sup>(١)</sup>.

تعددت أشكال وأنواع الاغتيالات، فثمة اغتيال يتم من داخل الجماعة في نفسها، واغتيال من جماعة تنفذه في أخرى، وقد يكون الاغتيال ضمن مخطط سياسة دولة، وبمثابة إعدام بدون محاكمة.

الاغتيال هنا في دراستنا هو ما يجري بحق الشعب الفلسطيني، وقياداته السياسية من جانب العدو الصهيوني، الذي أيدته بعض الصحف «الإسرائيلية»، وعارضته أخرى «للمصلحة العامة»، على أقلام كتابها، وجماعة، وهم قلة، لم تؤيد الاغتيال كحل مريح، من وجهة النظر «الإسرائيلية»، «لصراع» الانتفاضة.

حق الإنسان في الحياة هو حق أساسي ، لا يمكن المساس به ، فعلى سبيل المثال ، هناك بعض الحقوق المرتبطة بالقانون «الإسرائيلي» : كرامة الإنسان ، حرية الإنسان ، بمقتضى «البند الثاني» من القانون فإنه لا يجوز «المساس بحياة الإنسان ، أو جسده ، أو كرامته ، وذلك لأنه إنسان» ، القانون ينص باختصار على أن هناك حقوقاً أساسية مثل «الحق في الحياة» ، و «الحق في الكرامة» ، وتلك الحقوق لا يمكن مسها ، أو سلبها ، حتى ممن ليسوا مواطنين في تلك الدولة ، كما نص عليه القانون «الإسرائيلي» .

لكن الحكومة «الإسرائيلية» ، والقانون «الإسرائيلي» ما هما إلا لوحة ، جميلة ، معلقة أمام العالم فحسب .

ما جعل الكاتب الإسرائيلي ياعيل شتاين يؤكد «أن السياسة الإسرائيلية لم تستجب ، ولو بشرط واحد من تلك الشروط المفصلة . . . ، ولذلك فإن السياسة ، (الإسرائيلية) ، هي سياسة غير قانونية»<sup>(٢)</sup> .

### الاغتيال من منظور أخلاقي «إسرائيلي»

لا يوجد دستور في العالم يقر الاغتيال ؛ لأنه ، ببساطة ، مناف لكل القيم الإنسانية والأخلاقية ، التي تمنح «الحياة» قداسة ما بعدها قداسة . فلا يقوم بالاغتيال إلا مجرمون ، لا يرون وسيلة في حل مشاكلهم إلا القتل ، مثل العصابات الصهيونية ، التي ذكرناها آنفاً ، والتي أنشأت دولة «إسرائيل» . هذا هو حال «الإسرائيليين» ، دائماً ينظرون لأنفسهم ككيان محاط بالعداوة من كل العالم ، ولا يأبهون بما حولهم ، ورغم أنهم يعيشون في هذا العالم ، فإنهم لا يلتزمون بشيء من القوانين ، والتقاليد ، والأعراف التي تحكم العلاقات الدولية بين المجتمعات ، والشعوب ، والدول . إنهم ينظرون للعالم ، كل العالم ، على أنه «الجوييم» ، (الأغيار) ، أو كل الناس ما عدا اليهود ، «ولا يحفل الإسرائيليون كثيراً به كامتداد لأغراض «باركوكبا»<sup>(\*)</sup>(٣) .

(\*) قائد التمرد اليهودي على الإمبراطورية الرومانية ، بين عامي ١٢٥ ، ١٣٢ بعد الميلاد .

لقد خلعت الأساطير الصهيونية والسياسة «الإسرائيلية» عن الشعب الفلسطيني أية معان إنسانية أو كيانية اجتماعية قومية، فأصبح الفلسطينيون إما «غائبون» أو «قتلة وإرهابيون»، «ولقد جسد ازدياد انحياز الإسرائيليين لليمين الأصولي الديني، أو العلماني، منذ مجيء مناحم بيغن إلى السلطة عام ١٩٧٧، مضمون الصراع الحاد الذي ينقسم فيه الإسرائيليون»<sup>(٤)</sup> إلى خيارين إما نموذج الدولة بمفهومها الواسع وتفاعلاتها ومصالحها، وإما الاستمرار في كيان يمثل اليهود، فحسب، اعتماداً على أن إسرائيل قامت لتكون «دولة اليهود»، دون سواهم.

لقد أكد المؤرخ فرانكلين لويس فورد أن «عمليات القتل السياسي هي عمليات شريرة من الجانب الأخلاقي، وليست لها فائدة من الناحية السياسية»<sup>(٥)</sup>.

فيما ذهب كاتب «إسرائيل» آخر إلى القول «بدون حل عسكري لحرب الاستنزاف الفلسطينية لن يكون لنا مستقبل في الشرق الأوسط»<sup>(٦)</sup>.

أما البروفيسور، عميد كلية العلوم الاجتماعية، بالجامعة العبرية، نحماس بن يهودا، يقول: «إن عمليات القتل السياسي تحتاج أن يكون لها نتائج على أرض الواقع، وليس بالضرورة النتائج التي تمت من أجلها تلك العملية»<sup>(٧)</sup>. (وسيكون لنا رد على ذلك، فيما بعد). إن «إسرائيل» حسب الكاتب «الإسرائيلي» ياعيل شتاين «لم تنفذ سياسة الاغتيالات في أعقاب الانتفاضة الحالية، التي بدأت في نهاية سبتمبر ٢٠٠٠، بل تنفذها منذ أكثر من ٣٠ عاماً في الأراضي المحتلة، وفي دول أخرى»<sup>(٨)</sup>.

## أخطاء

كانت أهم تلك الأخطاء المحاولات الـ ٢٠ لاغتيال القيادي الفلسطيني في حركة حماس/ عضو المكتب السياسي، خالد مشعل، وكانت آخر تلك المحاولات ما وصفها التقرير بأنها «فضيحة مخبرانية»، ووصفها نحيء باخور، الكاتب «الإسرائيلي»: «بأنها محاولة صبيانية لتسميم زعيم حماس خالد

مشعل، أدت إلى الإفراج عن الشيخ أحمد ياسين، وإنهاء قصة الحرب مع الأردن».

وأدت إلى إقالة طاقم الموساد «الإسرائيلي» جميعه<sup>(٩)</sup> (فسر هذا كخطأ، وليس كمعارضة لسياسة الاغتيال، والخطأ يتم كى لا يتكرر، مرة أخرى). وهذا ما أراده آسى ديان، ابن موسى ديان، وزير الحرب «الإسرائيلي» المعروف، تحت عنوان ندوة «الانتفاضة ورصد الحماقات»<sup>(١٠)</sup>.

ولأن الدراسة مركزة على الانتفاضة الثانية، وبالأخص من ٩/١١/٢٠٠٠، بداية تنفيذ سياسة الاغتيال، اغتيال أحد كوادر «حركة فتح» البارزين في الضفة الغربية، الشهيد حسين عبيات، فإننا سنقوم بالتركيز على هذه المدة من الزمن، ففيها أعلنت «إسرائيل» مسئوليتها عن تنفيذ تلك السياسة، ولكن بعد ذلك تحولت سياستها إلى التنفيذ الصامت، حيث امتنعت «إسرائيل» عن الاعتراف، أو الإنكار المعلن لتدخلها في عمليات الاغتيال التي تم تنفيذها بعد ذلك.

غالباً ما تخطئ «إسرائيل» في تنفيذ عملية الاغتيال، فقد تغتال شخصاً آخر، غير المطلوب اغتياله، وقد تنجح في اغتياله، ولكنها تقتل معه العشرات من الأبرياء.

«فمنذ ٩/١١/٢٠٠٠ قامت «إسرائيل» بقتل خمسة عشر شخصاً، (ويزيد) أثناء تنفيذ عملية الاغتيال، ستة منهم لم يكونوا هدفاً للاغتيال، (والعدد تقريبي، وقابل للزيادة وليس للنقصان). . . فعلى سبيل المثال، حين أقدمت «إسرائيل» بكل ما فى الجريمة من بشاعة على اغتيال الأمين العام لحزب الله، السيد عباس الموسوى، (١٦/٢/١٩٩٢)، مات معه فى الحادث زوجته، وابنه البالغ من العمر الخامسة، وخمسة من الحراس الذين كانوا برفقته»<sup>(١١)</sup>.

بعد اغتيال المهندس يحيى عياش، أحد أقدر الكوادر فى الجناح العسكرى لحركة حماس، كتائب الشهيد عز الدين القسام، وأحد الرجال الذين كانوا يشكلون خطراً جسيماً، ويثون الرعب بين صفوف «الإسرائيليين»، كانت العمليات الاستشهادية المتوالية التى آلت «إسرائيل» إلى آخر مدى.

لذلك يتساءل نحىء باخور، ما هى الحكمة فى استئناف هذه السياسة؟ وهو يرى أن سياسة الاغتيالات لم تقدم أى فائدة لأمن «إسرائيل» بل أسفرت عن أضرار بالغة .

### لماذا الاغتيال قرار خاطئ؟

لأن القرار الخاطئ بمن سيتم اغتياله يتم اتخاذه بشكل بالغ السرية، لذلك لا يمكن معرفة ما إذا كان هذا الشخص هو المقصود، أم لا . . . . . وليس فى إطار الإجراء القانونى الذى يفحص المعلومات المخبرانية التى يركز عليها هذا القرار، ولا يسمح بعرض شهادات الشخص المستهدف بالقتل، التى ترخص الاتهامات ضده، لذلك نجد أن معظم المعلومات المخبرانية هى معلومات غير أمينة، لأنها تصب باتجاه واحد لا غير، هو إدانة الضحية المستهدفة، ولا شىء سواه .

«وفى الظروف الحالية فإن نسبة الخطأ مرتفعة للغاية، بسبب نقص الوضوح تجاه (تورط) الفلسطينيين ضد (إسرائيل)، والتقارير الإعلامية تؤكد بأن هناك خلافاً بين جهاز الأمن العام، وشعبة المخابرات فى الجيش «الإسرائيلى» (أمان) تجاه مسئولية رئيس السلطة الفلسطينية ياسر عرفات حيال الأحداث الأخيرة»<sup>(١٣)</sup> .

### توافق آراء

كشفت صحيفة «معاريف» خطة «للموساد»، و«الشاباك»، توقفان بها الانتفاضة، وقد وصفت «معاريف» هذا المخطط «بجرائم النازية» وقالت: «إن أجهزة المخابرات (الإسرائيلية) تورطت فى جرائم عصابات، وتناست قضايا الأمن القومى، وبدأت تلك الجرائم بسلسلة من الاغتيالات السياسية لقادة الانتفاضة والفدائيين من «فتح، حماس، الجهاد، والجهة الشعبية، وانتهت بقتل النساء الحوامل، والأطفال الرضع»<sup>(١٤)</sup> .

فى تقرير من أجهزة الاستخبارات، ناقشه رئيس الوزراء «الإسرائيلى» السابق، إيهود باراك، ولجنة مصغرة من الكنيست أكد اغتيال أكثر من ٢٢ قائدًا

من قادة العمل الفدائي الفلسطيني، في الفترة ما بين ٩ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٠، ١٥ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٠، وجميع الاغتيالات تمت من خلال ما أسماه بـ «كمائن مدبرة»<sup>(١٥)</sup>.

وقد هاجمت وزيرة التعليم في حكومة إيهود باراك، شولاميت آلوني، رئيس الوزراء «الإسرائيلي»، آرييل شارون، والوزير موفاز، واصفة إياهم «بالسفاحين مصاصي الدماء، صناعتهم القتل، دون اعتبار للدين، أو التراث أو الإنسانية أو للسامية»<sup>(١٦)</sup>.

لعل التفسير المناسب لأقوال ألو يخار، أن ما رأته من مشاهد دموية فلسطينية، كان مفزعاً، فلم يسبق أن رأت مشاهد كهذه، مرت على شعب من شعوب العالم، فحرك ذلك في نفسها عاطفة إنسانية، مما جعلها مثلاً في مجتمع ملئ بالكرهية والبغضاء، واستثناء يؤكد القاعدة!!

فيما ذهب الكاتب رون فونداك، إلى أن الوسيلة المناسبة لوقف النشاط العنيف للتنظيم (فتح) لا تكمن في وقف أموال السلطة الفلسطينية، والقضاء على الزعماء السياسيين، والدخول إلى مخيمات اللاجئين، وإهانة الفلسطينيين، «أينما كانوا»، بل الوسيلة لذلك هي خلق أفق سياسي يستجيب لطموح معظم الجمهور «الإسرائيلي»، وللأهداف السياسية لفتح، فيجب بناء شراكة مع فتح/ التنظيم، وعدم محاولة تدمير ما هو غير قابل للهدم، التنظيم نفسه سيفكك العناصر العنيفة، داخله، بالضبط مثلما فعل قادة «فتح» عام ١٩٩٤م<sup>(١٧)</sup>.

هكذا يريد الكاتب «الإسرائيلي»، من حكومته أن تدع مهمة تصفية القادة والكوادر الفاعلة في أنشطة الانتفاضة للفصائل الفلسطينية نفسها، عبر التفخ في نار الخلافات الداخلية، والتصدعات التي تعجل بسقوط البناء، الذي رأت أنه غير قابل للهدم «بالمعاول» الإسرائيلية، لكنه قد يكون قابلاً لذلك بمعول «فلسطيني»!

إلا أن مجموعة من الكتاب «الإسرائيليين»، وهم سلوى عليان، يارون كانو، وحنان شلاين، قالوا: إن كل الطرق التقليدية منيت بالفشل، في محاولة

قمع الانتفاضة؛ لذلك قرر جيش (الدفاع) الانتقال للطرق التي تذكر بالأنظمة  
الظلامية. وفي «إسرائيل» يقبلون بطريقة الاغتيال بدون اعتراض، تقريباً،  
ويضيفون قائلين: «رغم أن قرار الانتقال للطريقة لم يتخذ في أى مجال وزارى  
مصغر، أو فى أية جلسة حكومية»<sup>(١٨)</sup>.

ثمة آراء متباينة حول الذين اغتالتهم «إسرائيل»، من حيث درجة المشاركة  
الفعلية ضد «إسرائيل»، أو درجة مشاركتهم فى العمليات الاستشهادية.

سياسة إسرائيل هى سياسة القتل والإجرام، واغتيال المواطنين الفلسطينيين  
يشير إلى ضعفها وعجزها عن الدفاع عن نفسها.

«واغتيال زعيم الطرف الآخر لا يحل المشاكل بل يفاقمها. لم تقدم سياسة  
الاغتيالات أى فائدة لأمن إسرائيل، بل أسفرت عن أضرار بالغة، وإسرائيل  
كدولة قانون تفعل خيراً إذا قضت على سياسة الاغتيالات»<sup>(١٩)</sup>.

أما ما يثير شتفليس الكاتب «الإسرائيلى»، فيعرض الموضوع من ثلاثة  
جوانب أولها: أن تكون عملية الاغتيال نابعة من عملية قتالية ضرورية  
وشرعية، بحيث تستند عمليات «التصفية»، على حد قوله، على «فلسفة  
أخلاقية شرعية وسليمة»<sup>(٢٠)</sup>.

يبدو أن الحديث لا يدور عن عقوبة، أو انتقام، ولا حتى عن الردع، بل يدور  
الحديث حسب ادعاءات «إسرائيل» عن قتل من أجل الوقاية، «لذلك ليس ثمة  
عيب أخلاقى فى (التصفية)، شريطة أن تتأكد الدولة، وبصورة موضوعية  
ومهنية، بأن المعد للقتل منظم، ويشارك فى العمليات العسكرية (على حد قول  
نائب وزير الحرب)»<sup>(٢١)</sup>. وضرب مثلاً خيالياً على فتاة عمرها ٢٠ عاماً، وهى  
طالبة تجلس مع أصدقائها، وفجأة اقترب منها ظل أسود، وحز عنقها بسكين. ثم  
افترض، ليعطى الصورة منحى آخر، أن الطالبة جنديّة، تخدم فى وحدة  
استخبارية، مهمتها تشخيص أوساط فلسطينية تهدد أمن الدولة (فى هذه الحالة  
فإن الحديث يدور عن عملية قتالية ضرورية وشرعية).

**الجانب الثاني:** فى أخلاقيات الحرب، هناك قانون واحد للإسرائيليين، والفلسطينيين، «فالحرب بين دولتين، قوتين، لكل واحدة كفاءتها، أما فى فلسطين، فهناك طاغية، ومطغى عليه، وبغض النظر. بالنسبة للإسرائيليين، فهو يقول إن المجندة هى ضوء كشاف محكم، ودقيق يكشف عن المسلحين، الذين يهددون سلامتهم وأمنهم، وبالنسبة للفلسطينيين فهى (أى المجندة) ظل ثقيل على كرامتهم وحرمتهم، وحياتهم، قبلة موقوتة تثبت نجاعتها، يومياً، بل كل ساعة» (٢٢).

يطرح شتفليتس التساؤل التالى: «هل يعنى ذلك أن عمليات (التصفية) الموضوعية هى معيبة أخلاقياً فى كل الأحوال!»

(نعم، وبالتأكيد معيبة أخلاقياً؛ لأن العدو لم يقصد أن تكون وقائية، فالعمليات الاستشهادية لم تكن إلا رد فعل على الهمجية «الإسرائيلية»، وقد أسرف العدو فى تنفيذ الاغتيالات لنشطاء الانتفاضة، وألحق الموت فى كل اغتيال بالعديد من المواطنين العزل، فضلاً عن الوحشية التى اتسمت بها عمليات الاغتيال، وقد هدف العدو أن تتم طريقة الاغتيال بطريقة استعراضية، تعيد له ولأجهزته بعضاً من الهيبة التى افتقدها، والمثال على ذلك، كأن يدخلوا إلى قرية، ويتوغلوا فيها لخطف مناضل أو اغتياله، واستخدام «أفخاخ» أمنية لاستدراج مناضلين ومجاهدين لاغتيالهم. ولعل أبرز مثل قريب حدث فى مدينة الصمود (خان يونس)، بتاريخ ٧/١٠/٢٠٠٢، حين دخلت دبابات العدو، بعد منتصف الليل حى الأمل، غربى المدينة، ثم توغلت حتى وصلت مسجد «الكتيبة»، بحثاً عن نشطاء من حركة «حماس»، وباقى الحركات، فى هذه الأثناء قتلت اثنين من المقاومين، وما إن تجمع الناس عليهما، حتى أطلقت مروحية أباتشى الأمريكية صاروخاً أسقط ما يزيد على الخمسة عشر شهيداً.

لنعود، مجدداً، إلى شتفليتس، فقد أجاب عن تساؤله بـ «لا يعنى بالضرورة فى بعض الأحيان (الاجتيال) يكون بمثابة الشر الضرورى أثناء «الحرب»، ومن الصواب تفضيلها على عمليات أوسع، من شأنها أن تمس بصورة غير متناسبة بالأبرياء.

أما الجانب الثالث والأخير، فتحدث عن وجود «إسرائيل» وبما أن وجودها غير مهدد، بأى شكل من الأشكال، وأن المواجهة الحالية هي «حرب التحرير» للفلسطينيين، وليست كذلك بالتأكيد - حرب التحرير - «لإسرائيل»، فقد طلب أن يدور الحديث، وأن يلقي النظر إلى قتل رجال «فتح» والسلطة الفلسطينية في سياراتهم، وأمام بيوتهم، وعلى مرأى من أفراد عائلاتهم، كسياسة معيبة من ناحية قيمة وضارة وطنياً، على المدى البعيد. لأنها تستند إلى الافتراض بأن حياة الفلسطينيين هي رخيصة إلى درجة أن إسرائيل تحكم عليهم بالموت.

وهي ضارة وطنياً، «لأن قتل القتلة يعتبر عقبة كأداء أمام السلام (السلام الوهمي)، المستقبلى بين الأمم المتنازعة (اليهود ليسوا أمة)، والسلام على الأقل حسب الدعاية الانتخابية، هو أمنية للإسرائيليين»<sup>(٢٣)</sup>.

### تعارض آراء

بينما يرى بعض الكتاب «الإسرائيليين» - وهم قلة على أية حال - ألا تلوث «إسرائيل» يديها بدماء الفلسطينيين، حيث تدعو أغلبية الكتاب «الإسرائيليين» إلى تكثيف عمليات الاغتيال والاعتقال التي تنفذ ضد نشطاء المقاومة الفلسطينية، وقد وجدت هذه الدعوات صداها فيما كشفت عنه «يديعوت أحرنون»<sup>(٢٣)</sup>، من أن الجيش «الإسرائيلي» يدرس، حالياً، إقامة قوة مستعربين خاصة جديدة، والتي تسمى دوفدوفان<sup>(\*)</sup><sup>(٢٤)</sup>.

على أن ينحصر عمل هذه المجموعة في الأساس في الاختطاف، واغتيال النشطاء الفلسطينيين، ما يؤكد عليه المحلل العسكري ليديعوت أحرنون، أليكس فيشمان: «لكى تتم تصفية الخلايا السرطانية يجب الوصول إلى الرأس»<sup>(٢٥)</sup>. دون أن يهتم فيشمان، أو من سواه، بمصائر أولئك الذين يسوقوهم حظهم العثر لأن يكونوا في مكان تنفيذ جريمة الاغتيال، التي غالباً ما تتم في مكان عام يعج بالمارة، أو في بيت الضحية، الذي يكون بين زوجته وأطفاله، كما

(\*) ثمرة الكرز بالعبرية.

حدث في جريمة اغتيال القائد العسكري للذراع العسكرية، لحركة المقاومة الإسلامية (حماس) «كاتب الشهيد عز الدين القسام»، الشهيد صلاح شحادة. التي تمت بإسقاط قبلة زنة واحد طن على البناية التي تسكنها عائلة شحادة، ما أدى إلى استشهاد تسعة أطفال، إضافة إلى شحادة وزوجته.

لقد ادعى شارون، الذي هنا بـ «العملية الناجحة»، أنه لو عرف بأن ثمة أشخاصاً أبرياء في منطقة القصف، لما كان قد صدق على العملية، مع العلم أن «الشاباك» كان يركز على المبنى - لمدة طويلة - الذي يسكن فيه شحادة، وقد وصفوا الشقة بأنها «شقة الاختباء»، أي ليست المكان الذي يقيم فيه مع أسرته، وذكر الشاباك «أن المعلومات عن الحركة داخل المنزل، دلت على أن الرجل (صلاح شحادة) معتزل بصحبة اثنين من مقربيه، ولكن في كل مرة يصل إلى المبنى أشخاص آخرون، منهم إحدى زوجاته، وعدد من أولاده»<sup>(٢٦)</sup>.

لا ندرى كيف يمكن لجهاز مثل «الشاباك» المعروف بالدقة في تتبع المعلومات، لا يعرف أن الشقة التي سيتم قصفها هي منزل شحادة، وقد أقام، فيها قبل استشهاده بأسبوعين، لكنها الأقوال التي تقطر كذباً، ويراد للرأى العام العالمى الغاضب أن يصدقها، وهو ما نجده، أيضاً، على لسان موسى يرأون، حين يقول: «لقد بدءوا يفهمون (الغرب)، اليوم، أن العنصر الرئيس والوحيد، تقريباً، لعدم الهدوء فى العالم، سواء فى آسيا أو فى إفريقيا، بل فى أوروبا، هو الإسلام المتعصب، والذي تكمن نواته القوية فى العالم العربى، الملىء بالموارد»<sup>(٢٧)</sup>.

إنه التحريض السافر، الذى لا يكتفى بالتحريض على الفلسطينيين، لب مشكلة «إسرائيل»، بل يمتد إلى محيطهم الأوسع: العرب والمسلمين، بحيث لا يبقى للفلسطينيين سند، ولا مدد!

«فى عملية اغتيال صلاح شحادة قتل ١٥ مدنيًا فلسطينيًا، من بينهم تسعة أطفال ورضع»<sup>(٢٨)</sup>، هكذا كتب حايم تصادوق، ففى رأيه أن «عملية غزة» لم تكن ناجحة عسكريًا، أما من الناحية السياسية فهى «عملية يائسة لحكومة لم

تنجح فى تحطيم (الإرهاب)، وتضطر طيلة الوقت إلى رفع درجات ردها العنيف»<sup>(٢٩)</sup>.

بينما ذهب ران أدليست إلى أن «شحادة»، يستحق الموت بناءً على أقواله وأفعاله، مطالباً بأسلوب الحوار مع التنظيمات، مع «تصفية» من يستحقون الموت<sup>(٣٠)</sup>. الذين هم الغالبية العظمى من الشعب الفلسطينى، الذى طالما صرحت جولدا مائير بأنه «ليس له وجود».

«إن سياسة التصفية، التى تسلكها الحكومة فى الشهور الأخيرة لم تحقق الهدف منها، إذ ينبغى على الحكومة أن ترد الصاع صاعين لكل من يحاول الاعتداء على مواطنيها. . . والطريقة الوحيدة لتحقيق قوة الردع ليست أن يدفع الفدائي حياته ثمناً لفعلته فحسب، بل وحياة عشرات من زملائه الأعضاء، والأمر لا يقتصر على قادة المنظمات والرءوس الكبيرة، بل أيضاً الأسماك الصغيرة»<sup>(٣١)</sup>.

لا نعرف من سيبقى من الشعب الفلسطينى، بعد أن تنتهى الحكومة «الإسرائيلية»، كما يطلب إليها الكاتب، من تصفية «الفدائيين والعشرات من زملائهم، إضافة إلى قادة الفصائل، والرءوس الكبيرة، والأسماك الصغيرة»، نخشى أن نقول: إنه عندئذ لن يكون فى فلسطين أحد يوفر للكاتب، ولحكومته، فرصة ممارسة جرائمهم الدموية، عليه!

لقد كشفت استطلاعات الرأى العام التى قام بها نتان داهيفى «أن ٨٧٪ من الإسرائيليين من عمر ١٠ إلى سنة يعتقدون أن العربى الطيب هو العربى الميت»<sup>(٣٢)</sup>.

لأن «العرب والمسلمين يريدون إبادتهم تبعاً لأوامر دينهم»! «وأنهم يفهمون جيداً لغة القوة، اضربهم، اقتلهم، يحترموك، وإن بسطت لهم وجهك أبادوك»<sup>(٣٣)</sup>.

هكذا ينظر «الإسرائيليون» للعرب، بمن فيهم أولئك الذين أرادوا خلع عروبتهم وإسلامهم، ملتحقين بخدمة عدو أمتهم، موقعين «تحالف كوبنهاجن»، وما عداه من التحالفات المشبوهة.

يقول المحلل الإستراتيجي الإسرائيلي المعروف زئيف شيف إن «سياسة تصفية القيادات مبررة ويجب استمرارها، وأن لا تردع عنها شريطة أن تستجيب لعدة معايير<sup>(٣٤)</sup> :

**أولاً:** أن توجه ضد من لهم صلة بتنفيذ، وتخطيط، أو إصدار أوامر لأعمال القتل، وليس ضد زعماء سياسيين. **ثانياً:** أن تركز أساساً، على عمليات وقائية. **وثالثاً:** أن يتخذ القرار بشأن كل حالة على مستويات، وبعد فحص جذري<sup>(٣٤)</sup>.

وهذا حقاً ما لا يجري اليوم!

فالعمليات تقوم على أساس انتقامي، وعقابي، وجماعي، ويتم التعامل معها ببلورة تكتيك إعلامي مع الأحداث، كما يقول عاموس هرثيل، بمعنى أنه حين لا تكون العملية مرتبطة بإطلاق نار، يمتنع الناطق العسكري عن الرد، وحين تجرى محاولة لاعتقال نشطاء (مثل حادث غوش قطيف)، ويتم إطلاق النار، تروج «إسرائيل» تفسيرها للحادث، وتشارك في النشاطات الموضعية الموجهة ضد النشطاء الكبار<sup>(٣٥)</sup>. من هذه الأجهزة المشاركة الوحدة التي تعمل بالتعاون الوثيق مع «الشاباك»، وهي الوحدة التي اغتالت الناشط الحمساوي، هاني أبو بكر، بتاريخ ١٤ / ١٢ / ٢٠٠٠، في غوش قطيف.

يضيف هرثيل «إن مقتل النشطاء الكبار دفع رفاقهم إلى اتخاذ قواعد الحيطة والحذر... وثمة شك فيما إذا كانت الاغتيالات ستؤدي إلى تخفيض حوافزهم بالقيام بعمليات، ومع ذلك فإن هذه العمليات تثير الخوف وسط السلطة<sup>(٣٦)</sup>.

استياء

تعليقاً على زيارة رئيس الوزراء «الإسرائيلي» «شارون» لبرلين، وباريس، قال

الكاتب عيران يتضنبرون؛ «أعرب المتحدث باسم الخارجية الفرنسية عن اعتقاده بأن سياسة التصفية الجسدية غير شرعية، خاصة حينما تصدر عن دول ذات سيادة»<sup>(٣٧)</sup>.

«وفى ألمانيا وباقي دول الاتحاد الأوروبي، أصيبوا بالصدمة من الإرهاب الذى تمارسه الدولة»<sup>(٣٨)</sup>.

هنا يكتب الكاتب بنقل موقف الدول التى قام رئيس حكومته بزيارتها، دون أن يقدم لقرائه أسباب هذا الموقف، كاشفاً عن أعينهم أغطية الدعاية الكاذبة التى تروجها الحكومة لدى «الإسرائيليين»، الذين لا يجدون فى أنفسهم الرغبة فى بذل قليل من الجهد لكشف الحقيقة المخفية، تحت تلال الأكاذيب التى يشترك فيها شارون، إضافة إلى من يقدم نفسه كـ «زعيم المعارضة الإسرائيلية»، نعى، رئيس حزب ميرتس «اليسارى»، يوس ساريد، الذى عقب على عملية اغتيال الأمين العام للجهة الشعبية لتحرير فلسطين، أبو على مصطفى، (آب/ أغسطس ٢٠٠١)، مكتفياً باعتبارها «تصعيداً خطيراً»!<sup>(٣٩)</sup>.

فيما ظهر من يتحدث، عقب عملية اغتيال «أبو على مصطفى»، عن «الحماقة» التى سوف تجر ردوداً قاسية على إسرائيل، فكتب المعلق العسكرى فى صحيفة يديعوت أحرونوت: «من وجهة نظر عسكرية، فإن «إسرائيل» الآن فى صيرورة التدهور، فرداً على الاغتيال، فتح الفلسطينيون النار على مستوطنة غيلو، والذى أطلق النار من هناك يعرف أنه يتوسل رداً إسرائيلياً»<sup>(٤٠)</sup>.

وضع مرير، والدماء فى كل مكان من جثث الشهداء، مناظر يندى لها الجبين، يتكلم الحزن «بوصول محمد دحلان (١٥/١٢/٢٠٠٠) مهرجان فى الطيبة»<sup>(٤١)</sup>، كدليل من حسن النية من الحكومة (الإسرائيلية)، «ولماذا محمد دحلان بالذات!، ولم يكن فى ذلك الوقت أى تأثير للانتخابات والمفاوضات السياسية على نشاطات الجيش الإسرائيلى»<sup>(٤٢)</sup>.

فقبل أسبوع اعتبروا فى إسرائيل دحلان «الرجل السئ» فى المواجهات مع الفلسطينيين، «وأبلغ عن دور رجاله فى العمليات، فإذا استطاع دحلان الدخول

إلى إسرائيل ، بدون إذن رغم توصية النائب شارون باغتياله ، فهذا هو الدليل الساطع على الآمال التي تعلقها الحكومة بإحداث انطلاقة سياسية»<sup>(٤٣)</sup> .

ولا يخفى موشيه زاك الكاتب «الإسرائيلي» استيائه من تصريحات بعض المسئولين عن العمليات التي يقوم بها الجيش ، ويسأل قائلاً: «من سحب قائد المنطقة الوسطى إسحاق إنيان من لسانه ليعلن على الملأ عن «تصفية حسين عبيات ، قائد كبير في التنظيم!»<sup>(٤٤)</sup> ، فهو يرى عدم التصريح ليس خوفاً من الانتقام ، ذلك لأن الفلسطينيين لا تعوزهم المبررات لعمليات ضدهم ، بل لعل ما يسعى إليه الكاتب ، ولم يذكره خجلاً أو مكرراً ، هو الاختباء والتخفي وراء الجريمة ، كي لا يكون في المستقبل دليلاً على الأفعال ، والجرائم المشينة التي ارتكبت في حق الشعب الفلسطيني .

## مغالطات

يقول البروفيسور نعمان بن يهودا : «إن عمليات القتل السياسي في حاجة إلى أن يكون لها نتائج على أرض الواقع ، وليس بالضرورة النتائج التي تمت من أجلها تلك العملية»<sup>(٤٥)</sup> .

هذا تأييد صريح للاغتيال من بروفيسور في الجامعة العبرية ، كل ما يهمه ماذا كان وقعها في نفوس الناس؟ وهل ساعدت في الحد من العمليات الاستشهادية داخل الأراضي المحتلة؟ وإلى أي مدى؟ هذا ما يبحث عنه ، وهذا ما يعنيه ، أما مصائر البشر ، فهذا أمر تافه ، لدرجة ألا يشغل بال بروفيسور جامعي!!

يقول في مكان آخر: «عندما تقوم بعض الجماعات الإرهابية بعمليات الإرهاب السياسي ، وتركز نشاطها على القتل السياسي ، فإن نهايتها تأتي دائماً من الداخل»<sup>(٤٦)</sup> .

وعليه فإن «البروفيسور» يجد أن عمليات القتل السياسي تكون محمودة ، بل مطلوبة ، طالما قامت بها يد «إسرائيلية» . أما إذا «تطاول» الفلسطينيون ، وحاولوا الدفاع عن وجودهم ، بقتل من يبغى اقتلاع جذورهم من أرضهم ، فإن

«البروفيسور» يعتبر هذا «إرهاباً»، يهدد أصحابه بأن نهايتهم قريبة، بل الأدهى من ذلك تأكيده أن هذه النهاية ستأتى من الداخل، هكذا يتمنى، وليس كل ما يتمناه البروفيسور يدركه!، خاصة إذا كان يزعم بأن الادعاء الفلسطينى القائل إنه ليس ثمة فارق بين سياسة التصفية، التى تقوم بها «إسرائيل» وبين الإرهاب السياسى، الذى يقومون به، هو أمر مغروس فى الدوافع السياسية»<sup>(٤٧)</sup>.

الاغتيال يستدعى تجميع وتركيز استخبارات الشاباك، وجيش الدفاع، وإعداد وحدات خاصة لتنفيذ المهمات، ما يجعل الأمر يصب، ضمن الإطار القانونى، فى مصلحة «الدولة الديمقراطية»، وسياستها الإجرامية «إسرائيل».

إن عملية الاغتيال للفلسطينيين تزيد من المقاومة، وسيكون للفلسطينيين رد أشد إيلاًماً مما كان حتى الآن، والضربات تلو الضربات تزيد من حدة الانتقام، ولا يعرف أحد كيف ومتى سيأتى هذا الانتقام.

إن الشعب الفلسطينى، على مدى تاريخه النضالى، لا يملك سوى المقاومة سبيلاً، أولاً وأخيراً، سلاح المقاومة كخيار إستراتيجى، وليس كما يقول البعض، المتأمر على الشعوب العربية، إن «السلام هو الخيار الإستراتيجى».

أما نحن فللمقاومة غمضى، وللمقاومة نهتف، وكل مقاوم للاحتلال هو شهيد محتمل.

\*\*\*

## الهوامش:

(1) [WWW.aljazeera.net/programs/opinions/articles/2001/9/9-1-1.htm](http://WWW.aljazeera.net/programs/opinions/articles/2001/9/9-1-1.htm)

(٢) ياعيل شتاين، سياسة الاغتيالات الإسرائيلية، إعدام بدون محاكمة، مركز بتسليم، ترجمتها إلى العربية: مختارات إسرائيلية ( القاهرة)، ع٨٤، ديسمبر/ كانون الأول ٢٠٠١، ص١٧ - ٢٣.

(٣) د. أحمد ثابت، القضاء الإسرائيلي يدعم عنصرية المذابح! مختارات إسرائيلية ( القاهرة)، ع٩٠، يونيو/ حزيران ٢٠٠٢، ص١١٨ - ١٢٠  
(٤) المرجع نفسه.

(٥) ليلي جاليلي، قتل أم تصفية؟، هآرتس، ١٨/١٠/٢٠٠١، ترجمتها العربية في: مختارات إسرائيلية ( القاهرة)، ع٨٣، نوفمبر/ تشرين الثاني ٢٠٠١، ص٦٣ - ٦٤.

(٦) يراييل هرثيل، هآرتس ٩/١١/٢٠٠٠، ترجمتها العربية في: القدس العربي، (لندن)، ١٠/١١/٢٠٠٠.

(٧) جاليلي، مرجع سبق ذكره.

(٨) شتاين، مرجع سبق ذكره.

(٩) نحىء باخور، يديعوت أحرونوت ٢٧/١١/٢٠٠٠، انظر ترجمتها العربية في: القدس العربي، (لندن)، ٢٨/١١/٢٠٠٠م.

عبير عطية، أخطاء وحماقات إسرائيل، صباح الخير (القاهرة)، ٢١/٥/٢٠٠٢، ص٧.

(١٠) صباح الخير (القاهرة)، ٢١/٥/٢٠٠٢، ص٦.

(١١) شتاين، مرجع سبق ذكره.

(١٢) المرجع نفسه.

(١٣) عبير عطية، سياسة الموساد لإنهاء الانتفاضة، صباح الخير (القاهرة)، ٩/١/٢٠٠١، ع٢٣٤٩، ص١٧.

- (١٤) المرجع نفسه .
- (١٥) فاطمة العطار، وزيرة التعليم الإسرائيلية تعترف: نحن سفاحون وقتلة، صباح الخير، (القاهرة)، ١٦/٤/٢٠٠٢، ع ٢٤١٥، ص ١٦ .
- (١٦) رون فونداك، يديعوت أحرونوت، ٢٦/٣/٢٠٠٢، ترجمتها إلى العربية في: القدس العربي، (لندن) بتاريخ ٢٧/٣/٢٠٠٢ م.
- (١٧) كول هزمان ٢٦/١٢/٢٠٠٠، ترجمتها إلى العربية في: القدس العربي، (لندن)، ٢٩/١٢/٢٠٠٠ م.
- (١٨) باخور، مرجع سبق ذكره .
- (١٩) مائير شتفليتس، يديعوت أحرونوت، ١٧/١/٢٠٠١، ترجمتها العربية في: القدس العربي، (لندن)، ١٨/١/٢٠٠١ .
- (٢٠) المرجع نفسه .
- (٢١) المرجع نفسه .
- (٢٢) المرجع نفسه .
- (٢٣) القدس العربي، (لندن)، ٩/٩/٢٠٠٢ م.
- (٢٤) أليكس فيشمان، يديعوت أحرونوت ٢٦/٧/٢٠٠٢، انظر ترجمتها العربية في: مختارات إسرائيلية (القاهرة)، ع ٩٢، أغسطس/ آب ٢٠٠٢، ص ٦٠ .
- (٢٥) المرجع نفسه .
- (٢٦) موسى يرأون، الاعتراف بالخطر الحقيقي، هاتسوفيه، ١٠/١٠/٢٠٠١، انظر ترجمتها العربية في: مختارات إسرائيلية (القاهرة)، ع ٨٣، نوفمبر/ تشرين الثاني ٢٠٠١، ص ٤٤ .
- (٢٧) حاييم تصادوق، يديعوت أحرونوت، ٢٨/٧/٢٠٠٢، انظر ترجمتها العربية في: مختارات إسرائيلية (القاهرة)، ع ٩٢، أغسطس/ آب ٢٠٠٢، ص ٦٢ .
- (٢٨) المرجع نفسه .
- (٢٩) ران إيدليست، يأس يقابله يأس، يديعوت أحرونوت، ٢٨/٧/٢٠٠٢ انظر ترجمتها العربية في: مختارات إسرائيلية (القاهرة)، ع ٩٢، أغسطس/ آب ٢٠٠٢، ص ٥٨ .

(٣٠) شالوم تسورثيل، ميزان دموى سلبي، هاتسوفيه، ٢٠٠١/١١/١١، انظر ترجمتها العربية في: مختارات إسرائيلية (القاهرة)، ع ٨٤، ديسمبر/ كانون الأول ٢٠٠١، ص ٤٦ - ٤٧.

(٣١) نتان زاهيفي، ٥٪ من اليهود يعتبرون العربي «إنساناً»!، معاريف، ترجمتها إلى العربية: الوفد (القاهرة)، ٢٠٠٢/٨/١٥، ص ٨.

(٣٢) المصدر نفسه.

(٣٣) زئيف شيف، هآرتس ١٠/١/٢٠٠١، ترجمتها العربية في: القدس العربي، (لندن)، ٢٠٠١/١/١١.

(٣٤) عاموس هرثيل، هآرتس، ٢٠٠٠/١٢/١٧، ترجمتها العربية في: القدس العربي، (لندن)، ٢٠٠٠/١٢/١٨.

(٣٥) المصدر نفسه.

(٣٦) عيران تيقبرون، أوروبا أصيبت بالصدمة من الإرهاب الإسرائيلي، يديعوت أحرونوت، ترجمتها العربية في: الأهرام (القاهرة)، ٢٠٠٠/٧/٢٠، ص ١١.

(٣٧) المرجع نفسه.

(38) Arabic@bbc.co.uk visited 2/9/2002

(٣٩) نافذ أبو حسنه، الدم الذي يوحد المناضلين، الشاهد (طرابلس)، ع ١٩٢، تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠١، ص ٤٦ - ٤٩.

(٤٠) هرثيل، مرجع سبق ذكره.

(٤١) المصدر نفسه.

(٤٢) المصدر نفسه.

(٤٣) موشيه زاك، معاريف، ٢٠٠٠/١١/١٣، انظر ترجمتها العربية في: القدس العربي، (لندن)، ٢٠٠٠/١١/١٤.

(٤٤) جاليلي، مصدر سبق ذكره، ص ٦٣.

(٤٥) المصدر نفسه.

(٤٦) المصدر نفسه.